الفصل الرابع

لا تعاملِ الأطفال الموهوبين كما لو أنّهم ورق جدران للزّينة أو كماليّات

«لا شيء أصعب من أن تتحدّى أسطورة».

لاو تزو - فيلسوف صينيّ وُلِد قبل الميلاد، لكنّ تاريخ ميلاده غير معروف وهو شخصيّة مهمّة في الفلسفة الطّاويّة، وهناك من يشكّك في وجوده أصلًا، ويقول: إنه شخصيّة خياليّة.

سؤال رئيس
• ما الحقيقة والخرافة المرتبطان بالأطفال الموهوبين؟

أحيانًا، يفترض بعض الأشخاص أنّ الأطفال الموهوبين سيكونون على ما يرام حتى لو تُرِكوا وحدهم. وعليه، فهم يعاملونهم كورق الحائط، بما يعني اعتبارهم أمرًا مفروغًا منه. وفي واقع الأمر، فإنّ هؤلاء الأشخاص الذين ينتظرون من الموهوبين فعل كلّ شيء وحدهم مخطئون؛ إذ لا يمكن للأطفال والمراهقين الموهوبين الكشف عن قدراتهم الحقيقية وبلوغها، ما دام المربّون والآخرون يؤمنون بمثل هذه الافتراضات المغلوطة.

والحقيقة هي أنّنا جميعًا نرغب في أن يصل هؤلاء الموهوبون إلى تحقيق قدراتهم الكاملة، إذ إنّهم سيمثّلون -بأعداد غفيرة- قادة مستقبلنا ومبتكرينا ومِهَنِيّينا.

وفي أوقات أخرى، يتعامل المربّون وأولياء الأمور معهم بوصفهم أدوات زينة، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

- استخدامهم (معلمين للأقران) في الصّفّ.

- تكريم الموهوبين وتقديرهم لقاء الدّرجات التي أحرزوها في الاختبارات، وجعلهم يستعرضون نبوغهم أمام الآخرين.

والواقع أنّ تقييم الطلّاب الموهوبين بسبب تعليمهم زملاء صفهم، أو حصولهم على درجات مرتفعة في الاختبارات، أو بلوغهم مستويات متقدمة من الأداء، يُعَدّ قصر نظر. لكن تقديرهم بسبب خصائص شخصيّة إيجابيّة، مثل الأمانة، ومساعدة الآخرين، هو أمر جدّ مهم، وفعله يرسّخ القيم في مجتمعاتنا، إضافة إلى بناء مستقبل واعد لهؤلاء الموهوبين، وكذلك الطلّاب جميعًا.

واستنادًا إلى ذلك، فأنت في حاجة إلى معرفة الحقائق كي تتمكّن من التّصدّي للخرافات والأساطير المتعلّقة بتعليم الموهوبين. وسنناقش في الجزء اللّاحق كثيرًا من هذه الخرافات والأساطير ونفنّدها.

الخرافة الأولى

ألا تُعَدّ الكفاية هدفًا مثيرًا للإعجاب ليحدّده المعلّمون لطلّابهم؟

هل تعرّضت من قبلُ للوقوف في رَتْلٍ من السّيّارات على الطّريق السّريع، ما أدى إلى توقّف تقدّمك؟ قارن بين شعورك حين تقلّل السّرعة، أو ربّما تتوقّف عند إشارة المرور، مقابل شعورك في أثناء تقدّمك خلال سير المركبات العاديّ. تساعدك هذه المقارنة على تفهُّم الإحباط الذي يشعر به المتعلّمون المتقدّمون حين (يعلقون في زحمة المرور) في فصل يركّز التّعليم فيه على الدّرجات، ويسعى إلى دفع الطلّاب كافة نحو الإتقان والبراعة.

تذكّر دائمًا أنّ البراعة هدف منشود، ما لم تكن قد حقّقت ذلك الهدف أو تخطّيته. ومن ثَمَّ، فالبراعة لا تُعَدّ هدفًا البتّة، بل عائقًا أمام التّعلُّم.

الخرافة الثّانية

أليس الطلّاب جميعهم موهوبين؟

إذا كان السّؤال يشير إلى أنّ الطلّاب كافة مميّزون، فهم فعلًا كذلك. أمّا إذا كان يقصد بـ (الطلّاب جميعهم موهوبون) أنّ مستوى أدائهم متقدّم مقارنة بأقرانهم من الفئة

العمريـة نفسهـا، فالإجابة هي (لا)؛ فجميع طلّاب الصّفّ الخامـس أو الثّالث مثلًا، يختلف أداؤهـم في الرّياضيّـات أو القراءة أو العلوم، مثلما يختلف في الرّكلات الحرّة، أو السّباحة، أو تسديـد الأهداف بمستـوى مهارة استثنائيّ، فهناك بعض الرّياضيّيـن استثنائيّون، تمامًا مثل بعض الطلّاب الذين يتمتّعون بقدرات استثنائيّة (كُتّاب،أو علماء، وعلماء رياضيّات).

الخرافة الثّالثة

أليس الطلاب الطلاب الموهوبون كلهم ينحدرون من أسر متوسطة أو مرتفعة الدّخل؟

يأتـي الطـلّاب الموهوبـون من مختلف البيئـات الاقتصاديّـة، ومن المناطـق الرّيفيّة والحضريّـة علـى حدّ سـواء. ويكمن التّحدي فـي أنّ الموهوبين كافة يحتاجـون إلى الدّعم؛ للاستمـرار فـي الأداء على مستـوى عالٍ. فالطـلّاب الموهوبون الذين ينتمـون إلى خلفيّات اجتماعيّة واقتصاديّة متدنيّة في حاجة إلى تعرُّف الفرص، ومصادر الدّعم الماديّ للمشاركة فـي تلك الفرصـ. وإلّا، فإنّ فجوة الفرصـ ستحدث حقًّا ومن المحتمل أنهـا موجودة فعلًا. إضافةً إلى أنّ الطلّاب الموهوبين يأتون من خلفيّات ثقافيّة وعرقيّة متنوّعة، ويتحدثون لغات عدّة، ويتمتعون بخليط من القدرات أيضًا.

الخرافة الرّابعة

أليس الطلّاب الموهوبون والنابغون مميّزين في شتّى المجالات؟

تظهر الاختلافات جليّة بين الطلّاب الموهوبين؛ فقد يكون أحدهم متقدّمًا في القراءة، أو الرّياضيّـات، أو أيّ مـادة أخـرى، في حين يكـون أداؤه عاديًّا في مجال آخـر. وربّما يكون مستـوى الطَّالـب أعلى من مستـوى أقرانه في الصّـفّ، ويُظهر استعدادًا لسرعـة التَّعلُّم في كثير من مجالات المحتوى الدِّراسيّ، في حين يتّصف طالب آخر ببعض الاستثنائيّة والتّفرّد فـي التَّفكير الإبداعيّ، ويحتاج إلى الفرص المستمـرّة ليوظّف مهارات التَّفكير تلك في شتّى المجـالات. يضـاف إلى ذلك أنّ بعض الطـلّاب الموهوبين قد يعانون إعاقـات أو عجزًا ما. مثـلًا، قد يعانـي الطَّالب الموهوب صعوبة في الكتابة يحول دون إتمامه المهام المكتوبة على أكمل وجه.

تذكَّـر أنّ الطلّاب الموهوبين مختلفون، وأنّهم لا يمتلكون جميعًا نقاط القوّة أو مجالات الموهبة نفسها.

الخرافة الخامسة

ألا يحرز الطلّاب الموهوبون جميعًا أعلى الدّرجات؟

إنّ الإجابـة هي (لا) بصوت مُدوٍّ؛ إذ لا يحرز الطلّاب الموهوبون كافة درجات مميّزة. وفي واقع الأمر، فإنّ بعضهم متدنّو التّحصيل.

إنّ المفتـاح الرّئيسـي لحفـز الطلّاب كافة إلـى التَّعلُّم، هو البدء من حيـث انتهوا إليه، بـدلًا من افتراض أنّ طلّاب الصّفّ الخامس هم ضمن المستوى نفسه، ويقفون عند النّقطة نفسها، ومن ثَمّ فهم في حاجة إلى دراسة المحتوى المخصوص بالصّفّ الخامس. إن تقييم الطـلّاب مسبقًـا لتحديد مـا يعرفونه عن مفهوم معيـن، يمكن أن يحدث فرقًـا في مطابقة خبـرات التَّعلُّم مع ما يعرفه الطَّالب، ومـا يستطيع تحقيقه من خلال المحتوى المحدَّد الذي يدرسـه (يعرض الفصل الحادي عشر نقاشًـا حيال التَّقييم القبليّ). مـن الصّعب أن تظلّ محفّزًا حين تكون على دراية واسعة بمعظم المحتوى أو كلّه.

هـل مـا زلت تتذكَّر شعورك وأنت عالق في زحمة المرور؟ لا شكّ في أنّه شعور لا ترغب في تكراره... تجنّبه إن استطعت إلى ذلك سبيلًا.

الخرافة السّادسة

ألا يُعَدّ استخدام الطلّاب الموهوبين معلمين لأقرانهم فكرة جيدة؟

ربّما تعتمد إجابة ذلك السّؤال على مجموعة من العوامل، هي: عدد المرّات التي يُطلَب فيها إلى الطَّالب القيام بهذا الدّور، ومدى استمتاعه بتقمّصه، والأثر الناجم عن ذلك (مدى نجاعـة هذا الأمـر). إنّ الهدف الرّئيس لكلّ طالب هو التَّعلُّم علـى أساس مستمرّ، أو إحراز تقدّم مستمرّ. لا ضير في أن يعلّم الطَّالب زميلًا له في الصّفّ بين حين وآخر، ولكن من غير المناسـب أن يحـدث تداخل وخلط بين التَّعلُّم والتّعليم. ومن المهـم كذلك تذكّر أنّ الطَّالب

الذي يتعلّم شيئًا ما بسرعة ومن دون بذل أيّ مجهود، لن يُماثِل، من حيث الكفاية والفاعلية، المعلِّم الذي يعمل مباشرة مع الطلّاب الذين يجدون صعوبة في تعلّم المحتوى. يُستخدم تعليم الأقران، في بعض الأحيان، لشغل وقت الأطفال الذين أتقنوا المهام المنوطة بهم. وفي المقابل، فإنّ تجميع القدرات من أجل أغراض تعليميّة (انظر الفصل الثّالث عشر) يُسهِّل التّعلُّم المستمرّ للطلّاب الذين أتقنوا أهداف المقرّر فعلًا.

الخرافة السّابعة

لا تقلق بشأن الطلّاب الموهوبين؛ فهم يستطيعون الاعتماد على أنفسهم.

إنّ هذه الخرافة على درجة كبيرة من الخطورة؛ إذ تؤدي إلى إهمال خطير مثل الافتراض الذي يقول: لا بأس في تشديد إستراتيجيّات التّمايز على الطلّاب الّذين يريدون وصول حدّ الإتقان. إنّ هؤلاء الأطفال مهمّون، حقًّا، ولكن لا ينبغي حرمان أيّ طالب من فرص التّعلُّم المستمرّ.

إنّ تصديق هذه الخرافة يؤدّي إلى إيجاد شباب متدنّي التّحصيل، لا يمتلكون المعرفة أو المهارات التي تمكِّنهم من مواجهة تحدٍّ أكاديميّ في حالة تعرّضهم له، وهذا أمر لا مفرّ من حدوثه، فهؤلاء الشّباب لا يطوّرون مهاراتهم الدِّراسيّة؛ لأنّهم لا يحتاجون إليها أبدًا. يا لها من خسارة!

الخلاصة

تُعَدّ الخرافات والأساطير المصاحبة للطلّاب الموهوبين، وأفضل الممارسات لتلبية احتياجاتهم أمرًا شائعًا، ويُنظَر إليها عادة بوصفها حقيقيّة. إنّ الادعاءات الباطلة عن الطلّاب الموهوبين تحظى بمصداقيّة واسعة؛ حتى إنّ كثيرًا من المربّين البارزين يتأثّرون بهذه الخرافات، مثل: (لا تقلق بشأن الطلّاب الموهوبين، فهم يستطيعون عمل أيّ شيء وحدهم). لذا، يتعيَّن على المعلِّمين اكتشاف هذا الخطأ، والعمل على نشر المعلومات الدّقيقة عن طلّابهم الموهوبين.

نصائح من أجل البقاء:

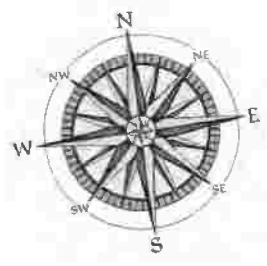

- استخدم خبراتك الجديدة في تصويب الأخطاء التي يعتقد بصحتها كثير من المربّين ذوي الخبرة وكثير من العامة؛ فحتمًا سيستفيد الطلّاب الموهوبون من عملك هذا.
- ينبغي إعلام أولياء الأمور بشأن هذه الخرافة، وبحقيقة الطلّاب الموهوبين؛ بتزويدهم بما لديك من مصادر ومعارف.

حقيبة أدوات المعلم للبقاء في الميدان

- دورية الطّفل الموهوب Gifted Child Quarterly: كان عدد خريف 2009 من هذه المجلة مكرّسًا لموضوع كشف الخرافات المتعلّقة بتعليم الموهوبين، وقد حوى هذا العدد معلومات قيّمة تتيح تمييز الحقيقيّ من غير الحقيقيّ فيما يخصّ تعليم الموهوبين (http://gcq.sagepub.com).
- أبرز عشر خرافات تتعلّق بتعليم الموهوبين: أنتجت وزارة تعليم ولاية ميريلاند فلمًا مهمًّا، يتناول الأخطاء المتعلّقة بالأطفال الموهوبين. يمكنك الاستفادة من هذا الفلم عند نشرك المعلومات اللّازمة لتثقيف أولياء الأمور، والزّملاء المربّين، وطلّابك أيضًا (http://youtube.com/watch?v= MDJst – Y–Ptl).